



لا تأكلوا أموالكم بينكم

(103) سورة العصر

خطبة جمعة

2026-01-02

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

يا ربنا لك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غني كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفرج كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك، وكيف نضل في هداك، وكيف نضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك، والأمر كله إليك، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جرى نبياً عن أمته.
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد، وسلم تسليمًا كثيراً.

المال قوام الحياة:

وبعد فيا أيها الإخوة الكرام: حُطبتنا عن المال، والمال قوام حياتنا، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (5)

(سورة النساء)

فبالمال تقوم حياة الناس، وتقوم مصالحهم في دينهم، وفي دُنياهم، وفي آخرتهم، لذلك قالوا: المال قوام الحياة.
أيها الإخوة الكرام: بادئ ذي بدء أريد أن أجيب عن أسئلة ثلاثة، تلخص لمفهوم الإسلام عن المال، كيف ينظر الإسلام إلى المال؟ من خلال أسئلة ثلاث:

أسئلة ثلاثة تلخص مفهوم الإسلام عن المال:

السؤال الأول: لمن المال الذي بين يديك؟

السؤال الأول: لمن المال الذي بين يديك؟ هذا المال الذي هو في جيبك الآن، أو في بيتك، أو في حسابك، هو في الحقيقة لمن؟ المال مال الله، هذه نظرة المسلم لماله، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُعْطِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ بِمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكُلُوا مِنْهُم مِّمَّا عَمِلْتُمْ فِيهَا ۗ وَلَا تَتَّبِعُوا عَرَصَ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهَنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ (33)

(سورة النور)

فالمسلم لا ينظر على أن ما يملكه من مالٍ، سواء كان مالاً نقدياً أو متاعاً، لا ينظر على أنه مالكٌ حقيقي للمال، ولكن المال مال الله تعالى، وبدناً عليه هي يدُ استخلاصٍ وأمانة وليست يدُ مُلك، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْعَمُوا بِمَا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ ۗ قَالِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْعَمُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (7)

(سورة الحديد)

نحن مُستخلفون على المال لا نملكه حقيقةً نملكه مجازاً:

فنحن مُستخلفون على المال، لا نملكه حقيقةً نملكه مجازاً، لكننا مُستخلفون فيه لنُفيق منه في طاعة الله تعالى، قيل لأعرابيٍ وانظروا إلى فقه هذا الأعرابي، قيل لأعرابيٍ معه إبل <> هي لله لكنها الآن في يدي، لماذا نقول عند المُصيبة إِبِلًا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ إِذَا أَصَابْتَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156)

(سورة البقرة)

لأنَّ المؤمن في لحظة المُصيبة، في أحوج ما يكون عندما يفقد بعض ماله، أو بعض صحته، أو قريباً له، أو حبيباً إلى قلبه، هو في هذه اللحظة في أمسِّ الحاجة لأن يستحضر معنى (إِنَّا لِلَّهِ) أنا لله فليفعل الله بي ما شاء، لأنني مُلكٌ له أنا لسْتُ مُلكاً لنفسي (إِنَّا لِلَّهِ) أي أنا وكل ما أملكه لله تعالى.

أيها الإخوة الكرام: لو أنك بعثت داراً لرُجُلٍ، وسلمتَ المال، وسجلتَ العقد، وأصبحت الدار التي كانت لك أصبحت له، بعد أيام اتصلت به: يا أبا فلان أرجوك العُرفة الثالثة لا تستخدمها ممنوع، كيف لا تستخدمها؟! الدار داري وأنا حُر التصرف بها، بعد قليل اتصلت به: يا أبا فلان العُرفة الثانية لا تستخدمها إلا للجلوس فقط ممنوع النوم فيها، كيف ذلك؟! فالمؤمن عندما يستحضر أنه مُلكٌ لله، في لحظات المُصيبة وفي غيرها، إذا أنا مالكٌ هو الله فهو يتصرف كيف يشاء، وأنا راضٍ بتصرفه جلّ جلاله، هذا معنى (إِنَّا لِلَّهِ).

أيها الإخوة الكرام: قالوا في بعض الحكَم: "إذا أراد الله أن يُظهر فضله عليك خلَقَ ونسَبَ إليك" كيف؟ أنت أحياناً تُنفيق، يقولون: فلان ما شاء الله مُحسنٌ كبير، يُنفيق في سبيل الله، في الحقيقة من الذي أحسن؟ ومن الذي أعطى؟ المُعطي جلّ جلاله، لكنه خلَقَ الفضل ونسَبَ إليك، ليُظهر فضله عليك، فنحن في الحقيقة لا نُعطي، لأننا لا نُعطي من أموالنا وإنما نُعطي من مال الله الذي أعطانا، ثم يتفصّل الله علينا فيُنبتنا على هذا العطاء.

المال لله وبدناً عليه يدُ أمانةٍ وليست يدُ مُلك:

أيها الإخوة الكرام: إذا السؤال الأول لمن المال؟ المال لله وبدناً عليه يدُ أمانةٍ وليست يدُ مُلك، وفي لحظةٍ واحدة يتوقف القلب عن النبض، فينبُتُ الله تعالى هذا المال إلى الورثة مباشرة وفق قوانين الميراث، لذلك المؤمن لا يقول قبل موته: والله لا أحب أن يرث فلان سأسجل لفلان، لأنه يعتقد أن المال ليس له، وأنَّ الله سيورثه كما يريد جلّ جلاله، فلا يتصرف في ماله فيحرم هذا ويُعطي هذا، لا يقول لا أعطى البنات، ومن أنت حتى لا تُعطي البنات؟ وهل هو مالكٌ حتى تتصرف به؟ هذا مال الله وهو قال لك عند وفاتك ينتقل المال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ
لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدْرُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ الشُّدْرُ مِّن بَعْدِ
وَصِيِّ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينٍ إِبْرَاهِيمَ وَأَبْنَاءُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَعْمًا فَارِضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَلَّ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (11)

(سورة النساء)

فليس لك أن تتدخل، فعندما نفقه أن المال مال الله تختلف نظرتنا للمال، هذه النقطة الأولى.

السؤال الثاني: هل المال نعمة أم نعمة؟

السؤال الثاني: هل المال نعمة أم نعمة؟ إذا إنسان ربنا أعطاه مالا هل هذا المال نعمة أم نعمة عليه والعباد بالله، الجواب:

المال موقوف على طريقة استخدامه، ابتداءً هو ليس نعمة ولا نعمة، لكن عندما تستخدمه يظهر إن كان نعمة أو نعمة، إن كسبت من حلال وأنفقت في حلال، فالمال نعمة من نعم الله عليك، لأنك كسبته من الحلال وأنفقته في الحلال، أما إن كسبت من حرام أو أنفق في حرام، فهو من أعظم المصائب، والله من أعظم المصائب، يُصيح المال عندما يُكسب من حرام أو يُنق في حرام، يقول صلى الله عليه وسلم:

{ لا تَرَوْهُ قَدَمًا عَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيهِ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبْتَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ

جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟ }

(أخرجه الترمذي والدارمي والبيهقي)

كان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وهو من أغنياء الصحابة، يقول: < فهم حقيقة المال، هو نعمة عندما تصون به عِرْضَكَ، تُطِيعُ أَهْلَ بَيْتِكَ وَأَوْلَادَكَ وَعَائِلَتَكَ، ثُمَّ تَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ بِالْإِنْفَاقِ فِي وَجْهِ الْخَيْرِ.

السؤال الثالث: هل المال دليل على محبة الله تعالى للعباد؟

السؤال الثالث: هل المال دليل على محبة الله تعالى للعباد؟ العوام لهم بعض الكلمات في هذا القبيل، ويعتقدون أن من يُعطيه الله المال فإنه يُحِبُّهُ، ليس كذلك، انظروا إلى قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15)

(سورة الفجر)

هكذا فهمها، رَبِّي يُكْرِمُنِي، رَبِّي يُحِبُّنِي، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (16)

(سورة الفجر)

صَيَّقَ عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كَلَّا ۚ بَلْ لَا تُكْرُمُونَ الْيَتِيمَ (17)

(سورة الفجر)

فَهْمُكُمْ لَيْسَ صَاحِبًا، الْمَالُ لَيْسَ الْعِطَاءُ فِيهِ مَحَبَّةٌ، وَلَيْسَ الْمَنْعُ مِنْهُ كَرهًا، أَوَّلًا، الْإِعْطَاءُ ابْتِلَاءٌ وَالْمَنْعُ ابْتِلَاءٌ (إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ) فَهُوَ امْتِحَانٌ فِي الْخَالَتَيْنِ، عِنْدَ الْعِطَاءِ وَعِنْدَ الْمَنْعِ، لَوْ كَانَ اللَّهُ يُعْطِي الْمَالَ لِمَنْ يُحِبُّ لَمَا أُعْطِيَ لِمَنْ لَا يُحِبُّ، أُعْطِيَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَهُوَ يُحِبُّهُ، فَهُوَ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَكِنَّهُ أُعْطِيَ لِقَارُونَ وَهُوَ لَا يُحِبُّهُ، إِذَا لَيْسَ مَقْيَاسًا، فَالْمَالُ لَيْسَ مَقْيَاسًا عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعَبْدِ أَوَّلًا، هَذِهِ الْأَسْئَلَةُ الثَّلَاثُ أَجَوِبُنَهَا تُلَخِّصُ أَهَمَّ الْبِنُودِ فِي نَظَرَةِ الْإِسْلَامِ لِلْمَالِ، أَوَّلًا الْمَالُ مَالُ اللَّهِ، ثَانِيًا الْمَالُ لَيْسَ نِعْمَةً وَلَا نِقْمَةً وَإِنَّمَا مَوْقُوفٌ عَلَى طَرِيقَةِ اسْتِخْدَامِهِ، ثَالِثًا الْمَالُ لَيْسَ مَقْيَاسًا لِمَحَبَّةِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ.

مال أخيك هو مال لك من حيث وجوب المحافظة عليه:

الآن الله تعالى مالك كل شيء كما قلنا، لأنه يملك الأشياء خلقاً وتصرفاً ومصيراً، أنت تملك بيتك الآن هل أنت أنشأته؟ وغالباً لا، هل لك أن تتصرف به كما تشاء تصرفاً مطلقاً؟ الجواب لا، هل تضمن أن يبقى مصيره إليك دائماً؟ الجواب بالتأكيد لا، في لحظة واحدة يغدو للورثة، أما الله تعالى فيملك الأشياء كلها خلقاً وتصرفاً ومصيراً، ثم رزقك المال، ثم ملكك إياه ملكاً مؤقتاً وسنأه مالك، قال هذا مالك لك ملكك إياه، بل سمى مال أخيك مالاً لك، مال أخيك هو مالك في المصطلح القرآني، من زاوية واحدة وهو أنه يجب أن تحافظ عليه وكأنه مالك، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْخِلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِيَأْكُلُوا قَرِيبًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (188)

(سورة البقرة)

المُبَادِرُ إِلَى الذِّهْنِ أَنْ يَكُونَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ، قَالَ تَعَالَى: (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) لِأَنَّ مَالَ أَخِيكَ هُوَ مَالٌ لَّكَ، وَإِضَاعُهُ إِضَاعَةٌ لَّكَ، وَقُوَّتُهُ قُوَّةٌ لَّكَ، فَمَالُ أَخِيكَ مَالٌ لَّكَ مِنْ حَيْثُ وَجُوبُ الْمَحَافِظَةِ عَلَيْهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَائِكُمْ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۚ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ ۚ يَسِّنُّ الْإِسْمُ الْفُسُوقَ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (11)

(سورة الحجرات)

وهل يلزم الإنسان نفسه؟ يتحدّث عن نفسه بسوء؟ لكن عندما تلمز أخاك المسلم وتتحدّث عنه بسوء، فأنت في الحقيقة تلمز نفسك، الاعتداء على الآخرين اعتداءً على ذاتك، يُشْبِهُ قَوْلَهُ تَعَالَى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (29)

(سورة النساء)

قتل الإنسان والعياذ بالله لأخيه كأنه يقتل نفسه.

أكل المال بالباطل له صور كثيرة:

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ: أَكَلَ الْمَالِ بِالْبَاطِلِ لَهُ صُورٌ لَا يَنْبَغُ الْمَقَامُ لِذِكْرِهَا، إِذَا أَنْ يَكُونَ بِطَرِيقِ الْغِصْبِ، وَالتَّهْبِ، وَالسَّرْقَةِ، وَالغِشِّ، وَالْجِدَاعِ، وَالظُّلْمِ، وَقَطْعِ الطَّرِيقِ، يَظْلِمُ أَخَاهُ وَيَأْخُذُ مَالَهُ عُتْوَةً، وَقَدْ يَكُونُ بِطَرِيقِ اللَّهْوِ كَالْمَيْسِرِ، يَلْعَبُ الْقِمَارَ وَالْعِبَادَ بِاللَّهِ، أَوْ أَجْرَةَ الْمُعْتَبِي، فَهُوَ يَأْكُلُ مَالًا بِالْبَاطِلِ، أَوْ يَكُونُ بِطَرِيقِ الرِّشْوَةِ وَالخِيَانَةِ وَالْاِحْتِكَارِ، صُورُ أَكْلِ الْمَالِ بِالْبَاطِلِ كَثِيرَةٌ، أَنْ يَأْكُلَ الْإِنْسَانُ مَالَ غَيْرِهِ بِالْبَاطِلِ، انظُرُوا إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ (36)

(سورة محمد)

الله تعالى مالك المال، ومالكك، ومالك كل شيء، يقول لك: أنا لا أسألك مالك، المال لك، لن أسألك إياه، هو لك، قال: (وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُخَوِّكُمْ تَبَخَّلُوا وَبُخِرْخِ أَصْعَاتِكُمْ (37)

(سورة محمد)

بمتنع الإنسان وبتشئت بالمال (وَبُخِرْخِ أَصْعَاتِكُمْ) قال لك: أريد منك ربع العشر والباقي لك، ربع العشر للفقراء والمساكين عندما تملك النصاب وبحول الخول والباقي لك، لن أسألك إياه إلا أن تتطوع، إلا أن تتصدق، إلا أن تحسب، سأرغبك بالإنفاق لكن لن أسألك إياه إجباراً. انظروا إلى المولى جل جلاله كيف يحترم خصوصيتك في المال، وكأنه يقول لنا: يا عبادي أنا لا أسألك مالك، فكيف يحل لك أن تأخذ مال أخيك بغير طيب نفس منه؟! كيف يحل لك أن تعتدي على مال أخيك؟!

ليس لك من مالك إلا ما أكلته:

أيها الإخوة الكرام: يقول صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع وهو يودع أصحابه، قال:

{ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَظَبَ النَّاسَ فَقَالَ: أَلَا تَذَرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَتَّى طَنَّنَا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بغير اسمه، فَقَالَ: أَلَيْسَ بِيَوْمِ التَّحْرِ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَيُّ بَلَدٍ هَذَا، أَلَيْسَتْ بِالْبَلَدَةِ الْحَرَامِ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاصَكُمْ، وَأَبْسَارَكُمْ، عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحَرَمِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي سَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، قُلَيْبُ الشَّاهِدِ الْعَائِبِ، فَإِنَّهُ رَبٌّ مُبَلِّغٌ يُبَلِّغُهُ لِمَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ فَكَانَ كَذَلِكَ، قَالَ: لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كَقَارِ، بَصْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ حُرْقِ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ، جِئَ حَرَقَهُ جَارِيَةٌ بِنُ قُدَامَةٍ، قَالَ: أَسْرَفُوا عَلَيَّ أَبِي بَكْرَةَ، فَقَالُوا: هَذَا أَبُو بَكْرَةَ يَرَاكَ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَحَدَّثَنِي أُمِّي عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ: لَوْ دَخَلُوا عَلَيَّ مَا بَهَشْتُ بِقَصَبَةٍ {

(صحيح البخاري)

لماذا قال الله تعالى: (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ) ولم يقل: لا تأخذوا أموالكم؟ مع أنّ الأكل أحد وجوه الانتفاع، يعني الإنسان المال الذي في جيبه يأكل منه، ويودع في المصرف منه، ويشترى جوالاً منه، ويشترى أماناً للبيت منه، لماذا ذكر الأكل قال: (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ) كأن الله تعالى يُشير إلينا، أنه ليس لك من مالك إلا ما أكلته والباقي كله زيادة، وهذا مصداق لقوله صلى الله عليه وسلم:

{ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْرَأُ: {الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ}، قَالَ: يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا

مَا أَكَلْتُ فَأَقْتَيْتَ، أَوْ لَيْسَتْ فَأَبْتَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْصَيْتَ؟! }

(صحيح مسلم)

رصيدي في البنك، أموالي التي بين يدي (يقول ابن آدم: مَالِي، مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتُ فَأَقْتَيْتَ، أَوْ لَيْسَتْ فَأَبْتَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْصَيْتَ؟!) هذه وجوه الانتفاع بالمال، والباقي رصيدٌ سُحَّاسَبَ عليه دون أن تنفع به، فكيف تقول مالي؟!

(وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَقْنَيْتَ، أَوْ لَبَسْتَ فَأَتْبَيْتَ) هذه للدنيا، والثالثة للأخرة (أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْصَبْتَ؟!) يبقى أجرها، ويدوم أجرها إلى أبد الأبد نعيماً في الجنة، والباقي؟ ليس لك، هو مُسجَلٌ عليك وسُحِبت عليه دون أن تنتفع به، فلماذا تُعلي صوتك وتقول: مالي مالي؟ لذلك قال تعالى: (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ) المال للأكل، الباقي من مُتطلبات الحياة كلها زيادات.

سِيئات المُعاملات تُذهب حسنات العبادات:

أُيها الإخوة الكرام: النبي صلى الله عليه وسلم كان بين أصحابه فقال يوماً:

{ أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قالوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فقال: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ سَتَمَ هَذَا، وَقَدَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَصَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَيِّتَ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُجِدَّ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ }

(صحيح مسلم)

حَدَّثُوهُ عَنْ إِفْلَاسٍ مُؤَقَّتٍ، وَحَدَّثَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ إِفْلَاسٍ دَائِمٍ، حَدَّثُوهُ عَنْ مَفَالِيسِ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَحَدَّثَهُمْ عَنْ مَفَالِيسِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، حَدَّثُوهُ عَنْ إِفْلَاسٍ قَدْ يَأْتِي بَعْدَهُ غِنًى وَبِسْتَعْنَى صَاحِبِهِ، وَحَدَّثَهُمْ عَنْ إِفْلَاسٍ لَا غِنًى بَعْدَهُ، حَدَّثُوهُ عَنْ إِفْلَاسٍ رُبَّمَا لَا يَصِيرُ بَيْنَ صَاحِبِهِ، وَحَدَّثَهُمْ عَنْ إِفْلَاسٍ مُصِيبِ الْمُفْلِسِ فِيهِ إِلَى النَّارِ، هَذَا هُوَ الْإِفْلَاسُ الْحَقِيقِيُّ، لِذَلِكَ: سِيئات المُعاملات تُذهب حسنات العبادات، يأتي بصلاة وزكاة وصيام، وسيناته في المُعاملات أذهبت حسناته في العبادات، فليتنبه الإنسان إلى مُعاملاته، لاسيما في المال. أُيها الإخوة الأحباب: كان سيدنا عمر رضي الله عنه يقول: "لا يبيع في سوقنا هذا إلا من تفقه".

اليوم في الشركات يضعون مستشاراً إدارياً، مستشاراً قانونياً حتى لا يُخطئ في القانون فتذهب أمواله سُدىً، ومستشاراً إدارياً، ومستشاراً لتعيين الموظفين، وكل شيء له مُستشارٌ لكنه ينسى المُستشار الشرعي، أن يسأل من أهل العلم من يقول له: هل هذا حلالٌ أم حرام؟ فيه ربا أم ليس فيه ربا؟ فيه غشٌّ للمسلمين أم ليس فيه غشٌّ؟ لا يُعِين مستشاراً شرعياً، يُعِين مستشاراً لكل شيء إلا أن يستشير الشرع في أمر دينه، وهو الأخطر والأهم، وهو الذي سيدخل صاحبه الجنة والنار شرع الله تعالى، ولا يسأل عنه للأسف.

حُرمة المال العام:

أُيها الإخوة الكرام: ومن حُرمة المال حُرمة المال العام، التي لا ينتبه لها كثيرٌ من الناس، يقول لك: أنا لم أسرق من فلان، ما أخذت مال أحد، أنا أخذت من مال الدولة، أي أخذت من المال العام، عندما أخذت من فلانٍ من الناس سيحاجك فلانٌ من الناس يوم القيامة، لكن عندما أخذت من المال العام الذي هو لجميع الناس، سيفق جميع الناس ليحاجوك يوم القيامة، فالمال العام ليس مُباحاً، وليس ليأكل منه من شاء ما شاء، ويقول أنا لا أخذ من مال الناس أنا أخذت من المال العام، المال العام لجميع الناس. لذلك أُيها الإخوة الكرام: شدّد النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المسألة فقال:

{ من استعملناه على عملٍ فرزقناه رزقاً فما أخذ بعد ذلك فهو غُلُوٌّ }

(أخرجه أبو داود)

استعملناه وأعطيناه راتباً، ثم أصبح يأخذ بعد ذلك ووفقه من الناس فهو غلُوٌّ.

{ اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنَ الْأَسَدِيِّ، يُقَالُ لَهُ: ابْنُ اللَّثْبِيِّ، قَالَ عَمْرُو: وَابْنُ أَبِي عُمَرَ، عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا لِي، أُهُدِي لِي، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِثْبَرِ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: مَا بَالُ عَامِلٍ أْبَعْتُهُ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهُدِي لِي، أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ، أَوْ فِي بَيْتِ أُمِّهِ، حَتَّى يَنْطَرَّ أَبْهَدَى إِلَيْهِ أَمْ لَا؟ وَالَّذِي تَعْسُ مُحَمَّدٌ بِيَدِهِ، لَا يَتَالُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ يَعْبُرُ لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقْرَةٌ لَهَا حُورٌ، أَوْ سَاءَةٌ تَبْعُرُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا غُفْرَتِي إِبْطِيهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ، هَلْ بَلَغْتَ؟ مَرَّتَيْنِ }

(صحيح مسلم)

لو كنت في بيت أبيك وأمك هل كان الناس أهذوك؟! أهذوك لأنك عاملٌ على الصدقة، أهذوك لأنهم يريدون منك شيئاً، أيت لم تفقه الحقيقة طنت أن المال لك (وَالَّذِي تَعْسُ مُحَمَّدٌ بِيَدِهِ، لَا يَتَالُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا) من أموال الزكاة والصدقات (إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ يَعْبُرُ لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقْرَةٌ لَهَا حُورٌ، أَوْ سَاءَةٌ تَبْعُرُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا غُفْرَتِي إِبْطِيهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتَ؟ مَرَّتَيْنِ).

أهمية المال العام لا تقلُّ عن أهمية المال الخاص يا كرام، فالمؤمن ينبغي أن ينتبه إلى أن لا يأكل من مال أخيه، ولا من مال إخوته، لا رِشوةً ولا بُمسَمَى آخر أو هدية، واليوم أرجوكم من على هذا المنبر، أن تُعين الناس على العودة إلى ترك الرِشوة وترك المال الحرام، لأنَّ المواطن اليوم هو من يُعلم الموظف.

عوّدوا الناس على ترك الحرام:

يعني كثيرٌ من شعبنا اعتاد أنه يريد أن يدفع المال، فالموظف إذا جاء طاهراً نظيفاً يريد أن يكتفي براتبه على قَلْتِه، وأن يكتفي بالحلال عن الحرام، نحن من نُعلِّمه أن خُذ الحرام يجب أن تأخذ، وعندني نماذج من ذلك، شيءٌ منها والله مُضحك وطريف، لأنه لا بُدَّ أن يدفع، وكأنه لو لم يدفع يشعُر أنَّ شيئاً في داخله يُحركه ليدفع المال لأنه تعوّد، عوّدوا الناس اليوم على ترك الحرام، المال الحرام مرفوض، فليأخذ من الحلال ما شاء، لكن الحرام مرفوض، حتى نُعين دولتنا بعد هذه العقول التي كان الفساد فيها مُمنهجاً، وكُنّا نقول للناس أنت مُضطر الناس كلها هكذا، لن تمشي معاملتك من غير أن تدفع، ماذا أقول لك؟ الإنم عليه وليس عليك، كُنّا نُبرّر لأنه ما عندنا حلول، اليوم لم تنته الرِشوة، موجودة، لكن اليوم أصبح لك صوتٌ أن تقول له لن ادفع، وزيما أذهب إلى المدير وأشتكي، لن ادفع بهذه السهولة، حتى تستطيع أن تُعوّد الناس على كسب المال الحلال وترك المال الحرام.

أُثِّمُ الإخوة الكرام: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزن عليكم، واعلموا أنَّ مَلَك الموت قد تخطانا إلى غيرنا وسيتخطى غيرنا إلينا فلننخذ حذرنا، الكيِّس من دان نفسه وعمل لِمَا بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى، واستغفروا الله.

الحمد لله ربِّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وليُّ الصالحين، اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمدٍ وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيد.

قصة وعبرة:

أُثِّمُ الإخوة الكرام: لَمَّا حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة، دخل عليه مَسَلْمَةُ بن عبد الملك وقال: <>.

يقول كُتَّاب التاريخ: ثم تتبَّع الناس أخبار أبناء عُمر من بعده، فرأوا أنه ما احتاج أحدٌ منهم ولا افتقر، وصدق الله تعالى جلَّ جلاله في كل ما يقوله جلَّ جلاله، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلْيُحْسِنِ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (9)

(سورة النساء)

الدعاء:

اللهم اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنَا فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنَا فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لَنَا فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنَا وَاصْرِفْ عَنَّا شَرًّا مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي بِالْحَقِّ وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، إِنَّهُ لَا يَدُلُّ مِنَ الْوَيْتِ وَلَا يَعْزُ مِنْ عَادِيَّتِ، تَبَارَكَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ، فَكُلِّمْنَا الْحَمْدَ عَلَى مَا قَضَيْتَ، وَلِكُ الشُّكْرِ عَلَى مَا أَنْعَمْتَ وَأَوْلَيْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالْجَنَّةَ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ سَخَطِكَ وَالنَّارِ.

اللهم ارزقنا مالاً حلالاً طيباً يُعِينُنَا عَلَى طَاعَتِكَ، اللَّهُمَّ اصْرِفْ عَنَّا مَا لَمْ يَحْرَمْنَا مِنْهُ عَلَى مَعْصِيَتِكَ.

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الْمَالِ حَلَالَهُ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ حَرَامِهِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللهم اغننا بفضلك عَمَّنْ سِوَاكَ، اللَّهُمَّ اغننا بِالْعِلْمِ وَجَمَّلْنَا بِالْجِلْمِ وَأَكْرَمْنَا بِالتَّقْوَى، واجعل خير أعمالنا ما فيه رضاك، واجعل خير أيامنا يوم نلقاك وأنت راضٍ عَنَّا أنت حسبنا عليك انكالتنا.

اللهم كُنْ لَاهِلْنَا فِي كُلِّ مَكَانٍ يُذَكَّرُ فِيهِ اسْمُكَ، فِي عَزَّةٍ وَفِي فِلَسْطِينَ وَفِي السُّودَانِ، فِي كُلِّ مَكَانٍ، كُنْ لِهِمْ عَوْنًا وَمُعِينًا، وَنَاصِرًا وَحَافِظًا وَمُؤَيِّدًا وَأَمِينًا.

اللهم أطعم جائعهم، واكس عريانهم، وارحم مصابهم، وآو غريبهم، واجعل لنا في ذلك عملاً مُتَقَبِّلاً وَاغْفِرْ لَنَا تَقْصِيرَنَا فَإِنَّكَ أَعْلَمُ بِحَالِنَا.

انبسط أمانك وأمانك في ربوع بلادنا، واصرف عنها كيد الكائدين، ومكر الماكرين، وحسد الحاسدين، ووفق القائمين على بلادنا لما فيه مرضاتك، وللعمل بكتابك وبسنته نبيك صلى الله عليه وسلم، والحمد لله ربِّ العالمين.